الوسيلة الثانية:

إن جامع الأزهر مدرسة عامة في قارة إفريقيا فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غراره، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على إفريقيا. وبذلك لئلا تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاش وتركستان وكردستان فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآني ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: 10].

وكذلك لتتصالح العلوم النافعة مع الفلسفة مع الدين وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة. ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول.[1]

لقد كان سعيد النورسي مهمومًا بالإصلاح والبعث من جديد وهو يرى أن تلميذ القرآن هو الخليق بهذا البعث من جديد، ويبدو أن مشروعه الإصلاحي يتبدى لنا من خلال مسحه للقضايا المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيره من مجالات عبر رسائل النور. وبعد هذا يجدر بنا أن نشير إلى موقف النورسي النقدي من فكرة «القومية» التي هي وثيقة الصلة بموضوع دراستنا؟.

موقف سعيد النورسي من فكرة القومية:

فكرة «القومية» من الأفكار التي شغلت ذهن النورسي وحاول أن يقدم لها رؤيته. وفي ظننا أن هذه الفكرة من الأفكار التي شغلت العديد من

(1) النورسي: المرجع السابق، ص 417.

المفكرين والدارسين ما بين مؤيد ورافض ومن خلال عرضنا سيتضح لنا موقف النورسي.

ففي البداية، يحذرنا النورسي من خطورة القومية أو العنصرية في حياة الأمم فيقول: لقد ظهرت أضرار النعرة القومية والعنصرية في عهد الأمويين، كما فرقت الناس شر فرقة في بداية عهد الحرية و إعلام الدستور، حيث تأسست النوادي والتكتلات كما اشتعلت إشارة النعرة القومية مجددًا للتفريق بين الأخوة العرب النجباء وبين الأتراك المجاهدين. فعم الاضطراب وسلب راحة الناس. علمًا بأن الإضرار بالناس بأعمال سلبية هو فطرة القومية والعنصرية التي عليها. والأتراك مسلمون في أنحاء العالم كافة فقوميتهم مزجت بالإسلام ولا يمكن فصلهم عنه. فالتركي يعني المسلم حتى إن غير المسلم منهم لا يكون تركيًا. وكذلك العرب فأن قوميتهم مُزجت بالإسلام أيضًا و ينبغي هكذا. فقوميتهم الحقيقية هي الإسلام وهو حسبهم. إلا أن العنصرية ودعوى القومية خطر عظيم.[1]

هكذا يضع النورسي يده على هذا الداء الوبيل، وهو فكرة القومية عندما تبتعد عن الإسلام وترتبط بالعنصرية أو العصبية، فتتحول إلى دعوة مارقة عن صحيح الدين!.

و يشير النورسي إلى أن الإسلام بطبيعته لا يعرف العصبية، أو القهر، ومن ثم يذهب: إلى أن أعداءنا ليسوا الأجانب، و إنما الذي أردانا إلى هذا الوضع وحال بيننا وبين كلمة الله هو مخالفتنا للشريعة الغراء نتيجة «جهلنا» بها و«الضرورة» التي أثمرت سوء الأخلاق وسوء المعاملات و«الاختلاف»

(1) النورسي: الملاحق، ص 415.

الـذي أنتـج الأغراض الشـخصية والنفـاق. أما جهل الأجانب بالإسـلام في القرون الوسـطى، فالإسـلام مع اضطراره إلى معاداة الجهل والهمجية إلا أنه قد حافظ على العدالة والاسـتقامة معهم فلم ير في التاريخ الإسـلامي أمثال محاكم التفتيش. ولما قوى ساعد المدنيين في زمن التحضر هذا فقد عنهم ذلك التعصب الذميم.[1]

ويـرى أحـد الدارسـين أن فكـرة القومية في ذاتهـا لا عيب فيهـا ولكن الخطـورة كل الخطـورة في تطبيقها بعيدة عن العقيـدة، فيقول: كذلك علمنا رسـول الله ﷺ أن نميز بين الولاء للحق والحب العادل للقوم وبين العصبية الظالمة في هذا الانتماء.. فالأول مقبول لا لأن الإسـلام لا يعارضه فحسـب، وإنمـا لأنـه حلقة في سلسـلة وخطوة على طريـق جامعته الكـبرى ولبنة في بنائه الأعظم فلقد نهى رسـول الله ﷺ عن عصبية الجاهلية الممزقة للشمل والمؤسسـة على العرق والدم، والتي لا تميز بين المضمون العادل وغير العادل لاجتماعهـا وحميتها، فقـال: «دعوها فإنها منتنة» رواه البخاري ومسـلم، بل وعلمنا أن رابطة القوم إنما يجب أن تتأسس على المعايير المختارة إنسانيًّا وليس على المعايير التى لا بد فيها للإنسـان.. فاللغة والثقافة هي معيار رابطة القوم وجامعتها وبها صـار بلال الحبشي وصهيب الرومي وسـلمان الفارسي عربًا عندما اختاروا العربية لغة ومنحوا فكرها الإسلامي الولاء والانتماء.[2]

ويذهب النورسي في معالجته لهذه الإشكالية بقوله: ولكن القومية نفسها

(1) النورسي: سيرة ذاتية، ص 98.

(2) د. محمد عمارة: مقال الإسلام والانتماء الوطني والقومي، مجلة منبر الإسلام، عدد أكتوبر 2001م، ص65.

على قسمين: قسم منها سلبي مشئوم مضر يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه وبتصرف بحذر وهذا يولد المخاصمة والنزاع.[1]

وأما القومية الإيجابية فيعبر عنها بأنها: نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب التعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع القومي ينبغي أن يكون خادمًا للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له وسورًا منيعًا حوله لا أن يحل محل الإسلام ولا بديلًا عنه.

لقد كان النورسي متنبهًا لخطورة القومية عبر التاريخ، عندما نادى بها البعض لتفريق شمل الأمة، إن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وانضم إليهم المسلمون الذين تربوا في مدارس التبشير.. ثم انضم إليهم المستغلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضًا بين الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى كل البشرية.[2]

فقد كان مسلمون يتولون اليهود في حزب الاتحاد والترقي، ومسلمون آخرون يتولون النصارى في الجمعيات السرية القائمة باسم العروبة والقومية العربية، ومسلون آخرون يتولون «لورانس العرب»! ويتبعونه وهو يدعوهم إلى قتال دولة الخلافة التي ظلت تحميهم من الغزو الصليبي قرابة أربعة قرون.[3]

ويصرح النورسي بأن القومية التي تتبناها الدولة سم قاتل ومرض

(1) النورسي: مكتوبات، ص 414 - 417.
(2) محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ص 583.
(3) محمد قطب: مذاهب فكرية معاصرة، ص 583.

أوروبي خبيث، ويقول: إن أوروبا ألقت بذلك المرض الوبيل بين المسلمين، ويفرقهم شذر مذر، ليسهل عليهم ابتلاعهم قطعًا متناثرة.[1]

كما أنه ينتقد الفكر القومي العلماني ويبين جذوره الأوروبية وأخطاره الاجتماعية، ورفض - تلميحًا - سياسة الحكومة التركية تجاه الكرد في الشرق وتجاه العرب في الجنوب.[2]

لقد كان للاستعمار دور كبير في تشجيع القوميات التاريخية التي عفا عليها الزمن، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الإسلام، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط إنسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة، وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق، وهكذا ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع التحريرية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة والتقائنا مع إخواننا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح المشتركة.[3]

إن مفكرنا النورسي، كان له موقف، وموقف واضح من فكرة القومية بخلفيتها الغربية، أو بمرجعيتها الغربية التي تدعو إلى فرقة الأمة ولكنه يؤمن بالقومية التي تدعو إلى التعاون والتساند - على حد تعبيره - وأن

(1) النورسي: المكتوبات، ص 63.
(2) النورسي: المرجع السابق، ص 415.
(3) د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، ص 21.

تكـن خادمة للإسـلام، لا أن يكون الإسـلام خادمًا لها، ولعـل هذا يدل دلالة أصيلة على بروز الروح النقدية عند عالمنا النورسي، فهو لم يرفض الأفكار التي يناقشـها لمجرد الرفض، كما أنـه لا يقبل من الأفكار لمجرد القبـول، وليس أدل على هذا معالجته لفكـرة القومية، فالقومية الصحيحة يكـون وعاؤها العروبـة، والعروبة يكون وعاؤها الإسـلام، وأعتقد أن فكـرة القوميـة - في رأيه - لو خرجت عن هـذه الدوائر لجانبت الطريق الصحيح.

الخاتمة والنتائج

نود أن نشير إلى أبرز النتائج التي انتهت إليها الدراسة:

أولًا: كان النورسي موضوعيًّا في فكره وخصوصًا موقفه من المدنية الغربية، حيث يرى أن هذه المدنية لم تحقق سعادة المجموع، بل هي مدنية الأثرة والأنانية، ويرى أن المدنية الحقيقية هي التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، لأن الشريعة الإسلامية نقطة استنادها هي الحق بدلًا من القوة والحق من شأنه العدالة والتوازن. وهدفها الفضيلة بدلًا من المنفعة والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب.

ثانيًا: لم يرفض النورسي المدنية المعاصرة رفضًا تامًا ولم يقبلها قبولًا تامًا، إنما كان موقفه وسطًا وهو يضع قاعدة ذهبية يعتقد أنها الأصوب. في رأيه «خذ ما صفا دع ما كدر»، ويرى أنه في ضوء هذه القاعدة، سنأخذ من الأجانب - مشكورين - كل ما يعين الرقي من علوم وصناعات أما العادات والأخلاق السيئة فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا تبين قبحها كثيرًا لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة «ولعل هذا من المنهجيات العامة عند مفكرنا النورسي والتي تعبر عن فكر معتدل.

ثالثًا: أثبتت هذه الدراسة الثقافة الموسوعية، عند النورسي فمن يقف على «رسائل النور» يتضح له أن مفكرنا يجوب آفاق النفس والوجود ويعالج قضايا شتى من العقيدة والأخلاق ومشكلات الحياة والمجتمع بروح صوفية وبلغة شاعرية تنفذ من القشور إلى اللباب رغم أنه ألف هذه الرسائل في وقت عصيب ولكن يبدو أن برد اليقين وحرارة الإيمان أثرت عليه حال

كتابته لهذه الرسـائل فجاءت مخلوقًا جديدًا يعرض لحقائق الإسـلام بصورة جلية ومفيدة.

رابعًـا: لجأ النـورسي في عرضه للحقيقة، إلى الأسـلوب الحـواري، وليس عرضًـا جافًا عاديًا فهو يخاطب أوروبـا و يناديها في مواضع عديدة و في رأينا هذا أسـلوب تربـوي مهم للتواصـل مع الحقيقـة، كما يثير انتباه وتشـو يق المتلقي لمتابعة الحوار.

خامسًـا: ينتقد النورسي الفلسفة الغربية نقدًا شـديدًا و يرى أن السبب في البلبلـة هو نقل فلسـفة اليونـان إلى محيط الحياة الإسـلامية. كما أنه ينقد مذاهـب الطبيعيـين وغيره مـن أفكار - إلا أنـه والحق - يقـال لم يقف على المذاهـب وقفة تفصيلية للمذاهب والأفكار لكي ينقدها ولو فعل ذلك لكان أكـثر توفيقًا، ولكن رغم هذا المـرور العابر فإنه قد أكد على العود إلى معين القرآن الكريم لتصحيح تصورات ومفاهيم الإنسـان القرآني الذي كان يود بعثه من جديد.

سادسًـا: عالج النورسي قضية السـقوط الحضاري و يـرى أن الغرب قد تآمر على سـقوط الخلافـة، ولقد تأكد للنورسي أن الإسـلام أصبح في خطر سـاحق ماحق إيمانًا وعقيدة و شر يعة وحضـارة ولغة وتار يخًا ورجالات ولذا بعد أن شخص الداء عبر موقفه الإصلاحي.

سابعًا: قارن النورسي بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية مقارنة عادلة تقوم على قاعدة التوازن و يرى أن الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية لأنها تحقق العدالة وتنشـئ السـلام، وهدفها تأصيـل الفضيلة هذا في الوقت الـذي ينعي فيه على الحضارة الأوروبية المؤسسـة على أسـس فاسـدة والتي

تدعي أن كل ما أتاها هو من عندها كادعاء قارون ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: 78]. وهذا يعد في نظرنا من النظرات الثاقبة عند مفكرنا.

ثامنًا: تمحضت فلسفته الإصلاحية حول إصلاح الإنسان أو «الإنسان القرآني» على حد تعبيره فهو يعتقد أن تلميذ الفلسفة يفر من أخيه أثره لنفسه و يقيم عليه الدعوى. أما تلميذ القرآن فإنه يرى جميع عباد الله الصالحين في الأرض والسماوات إخوانًا له و يشعر من أعماق روحه بأواصر شوق تشده نحوهم. فيدعو لهم دعاءً خالصًا نابعًا من صميم قلبه «اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات».

تاسعًا: عالجت هذه الدراسة موقف النورسي النقدي من فكرة القومية، في جانبها السلبي والايجابي وهو يعتقد أن القومية الإيجابية تكون نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية وهي سبب التعاون والتساند وأن تكون خادمة للإسلام، و ينتقد القومية بمرجعيتها الغربية والتي هدفها الفرقة والشتات، ونعتقد أن النورسي كان موضوعيًا ومتسقًا في رأيه إلى حد كبير.

مصادر ومراجع الدراسة

أولاً: مصادر الدراسة (مؤلفاته):

1- بديع الزمان النورسي: الكلمات ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

2- بديع الزمان النورسي: المكتوبات تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

3- بديع الزمان النورسي: اللمعات تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

4- بديع الزمان النورسي: الشعاعات ترجمة تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

5- بديع الزمان النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

6- بديع الزمان النورسي: المثنوي العربي النورسي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

7- بديع الزمان النورسي: الملاحق ترجمة النورسي، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

8- بديع الزمان النورسي: صيقل الإسلام، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

9- بديع الزمان النورسي: سيرة ذاتية، الناشر دار سوزلر، القاهرة.

ثانيا: المراجع:

10- ابن تيمية: العبودية، الناشر مكتبة المدينة المنورة، طبعة أولى، 1999م.

11- البهي (د. محمد): الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة.

12- جمعة (محمد لطقي): كيف السبيل لإحياء الشرق والإسلام، الناشر عالم الكتب، 2002م.

13- جيدل (د. عمار): بديع الزمان النورسي و إثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق)، الناشر نسل للطبع والنشر، طبعة أولى، 2001م.

14- جيدل (د. عمار): ماهية الإنسان من خلال رسائل النور، الناشر نسل للطبع والنشر والتوزيع، طبعة أولى، 2001م,

15- زقزوق (د. محمود حمدي): الإنسان في التصور الإسلامي (سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (68)، 2001م.

16- زقزوق (د. محمود حمدي): هموم الأمة الإسلامية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2001م.

17- زقزوق (د. محمود حمدي): الحضارة فريضة إسلامية، مكتبة الشروق، الطبعة الأولى، 2001م.

18- السباعي (د. مصطفى): الاستشراق والمستشرقون، الناشر دار السلام، طبعة أولى، 1998م.

19- سيدبي (د. جمال رجب): الثقافة الإسلامية بين الأصالة والتجديد، القاهرة، 1999م.

20- شيمل (آنا ماري): الإسلام دين الإنسانية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ترجمة د. صلاح عبد العزيز، 2000م.

21- الشناوي (د. توفيق): الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية.

22- العراقي (د. عاطف): العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

23- العسال (أحمد محمد): حوار الحضارات، الناشر مكتبة وهبة، 1996م.

24- عمارة (د. محمد): الدين والدولة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م.

25- عبد الحميد (د. محسن): النورسي متكلم العصر الحديث، الناشر سوزلر للنشر.

26- عبد الرازق (الشيخ مصطفى): الدين والوحي والإسلام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، طبعة ثانية، 1997م.

27- قطب (محمد): مذاهب فكرية معاصرة، الناشر دار الشروق، طبعة ثالثة، 1988م.

28- محمد (د. سمير رجب): الفكر الأدبي والديني عند الداعية بديع الزمان سعيد النورسي، الناشر سوزلر للنشر، طبعة ثانية، 1995م.

29- محمد (د. أحمد محمدي): الحضارة، سلسلة "كتابك"، الناشر دار المعارف.

30- مؤنس (د. حسين): الحضارة (سلسلة عالم المعرفة بالكويت)، عدد 237، طبعة ثانية، 1998م.

31- مدكور (إبراهيم): في الفلسفة الإسلامية (منهج وتطبيقه)، جزءان، الناشر دار المعارف بمصر.

32- النبراوي (خديجة): النبوة وضرورتها للإنسانية (بحث مستقى من رسائل النور)، الناشر دار سوزلر للنشر.

33- النبراوي (خديجة): دور كليات رسائل النور في يقظة الأمة، الناشر سوزلر للنشر، طبعة أولى، 1998م.

34- النبراوي (خديجة): مشكلات عقلية وقلبية للإنسان (بحث مستقى من رسائل النور)، الناشر سوزلر للنشر.

35- النبراوي (خديجة): الحب بين الوهم والحقيقة (بحث مستقى من رسائل النور).

36- نصار (د. عصمت): موقف إقبال من الحضارة الغربية، القاهرة، 2001م.

37- هنتجنون (صامويل): صدام الحضارات ترجمة طلعت الشايب، الناشر سطور، 1999م.

ثالثًا: أبحاث المؤتمرات

38- المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، بعنوان تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، 1996م.

39- المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، بعنوان «نحو فهم عصري للقرآن الكريم» رسائل النور نموذجًا، 2000م.